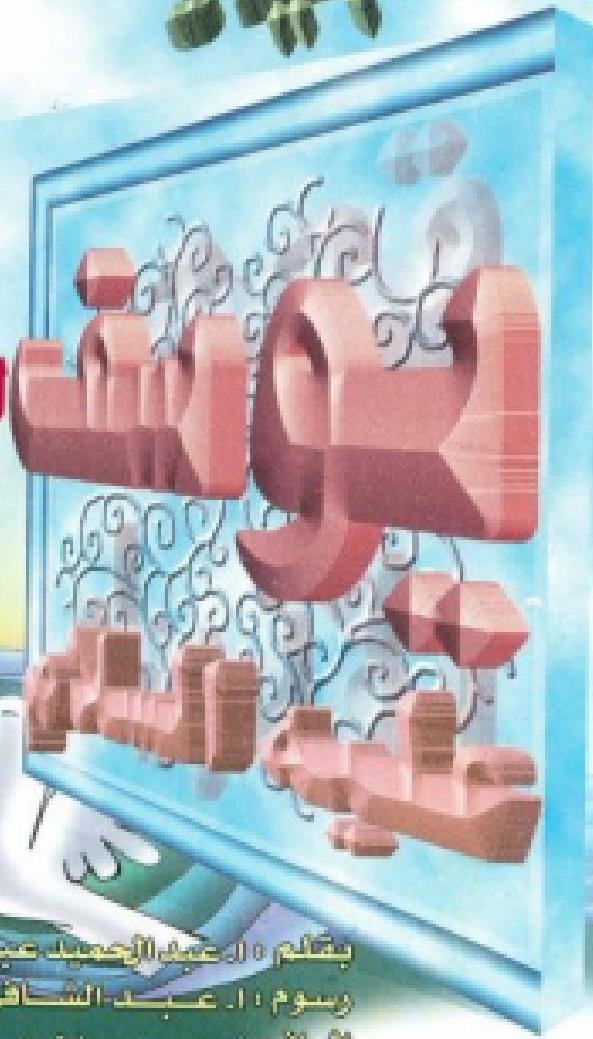


20

الجزء الخامس

الحلم يتحقق

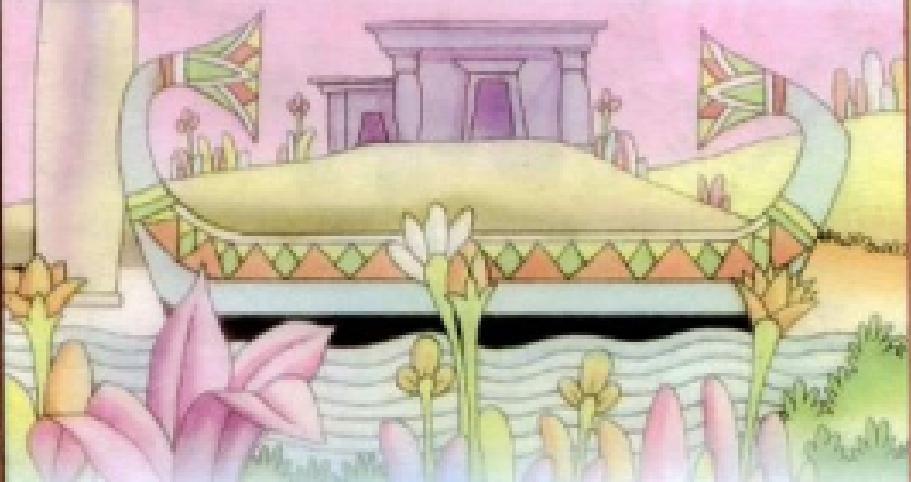


بتقديم : المحتوى الجديد عبد التواب

رسوم : ا. عبد الشافي حسين

إشراف : ا. حمدي مسعود





حزن يوسف عليه السلام عندما اتهمه إخوه بالسرقة هو وأخاه بنiamin ، لكنه لم يظهر لإخوه شيئاً ، واكتفى بأن قال في نفسه :

«أنت شر مكاننا ، والله أعلم بما تصفون» .

وأخذ إخوه يوسف يتواسلون إليه طالبين العفو عن أخيهم .. فقال لهم يوسف :

- لقد حكمتم على أنفسكم بأن السارق يُضيع

عَبْدًا لِمَنْ سَرَقَ مِنْهُ ، وَيَجِبُ أَنْ أُنْفَذَ الْحُكْمُ
وَأَخْذَ أَخَاكُمُ الَّذِي سَرَقَ ..

فَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ أخْوَتُهُ فَاقْتَلَيْنَ :

- إِنَّ أَبَانَا شَيْخَ كَبِيرًا ، وَقَدْ أَخْذَ عَلَيْنَا عَهْدًا أَلَا نُفَرِّطُ
فِي أَخِينَا مَهْمَا حَدَثَ .. مَاذَا سَنَقُولُ لَهُ !؟

فَقَالَ أَخْوَهُمُ الْأَكْبَرُ :

- بَلْ مَاذَا سَيَحْدُثُ لَهُ ، عِنْدَمَا يَعْلَمُ أَنَّ ابْنَةَ الَّذِي
أَتَّهَمْنَا عَلَيْهِ قَدْ سَرَقَ !؟

ثُمَّ عَرَضُوا عَلَى يُوسُفَ أَنْ يَأْخُذَ وَاحِدًا مِنْهُمْ ،
لِيَكُونَ عَبْدًا رَقِيقًا لِدَيْهِ ، بَدَلَ بِنْيَامِينَ ..

فَرَفِضَ يُوسُفُ ﷺ فِي إِصْرَارٍ ، وَقَالَ لَهُمْ :

- لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تَرْكَ السَّارِقَ ، وَأَخْذَ الْبَرِيءَ لِأَعْاقِبِهِ
بَدَلًا مِنْهُ .. لَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا الصِّوَاعَ فِي مَتَاعِهِ ..

وَهَكَذَا صَدَرَ الْأَمْرُ مِنْ يُوسُفَ ﷺ بِالْحِجَازِ

أخيه الأصغر ، ومنعه من السفر معهم .. وخلا
الإخوة بعضهم إلى بعض فأخذوا يتناقشون في هذه
المُضيّة ، التي حلّت على رءوسهم كالصاعقة ، والتي
لم يحسبوا لها حساباً من قبل .. ماذا سيقولون لأبيهم
وقد أخذوا على أنفسهم عهداً بالمحافظة على
أخيهم ، والعودَة به إليه سالماً ، مهما كانت الظروف ،
ومهما اغترفُهم من صعب أو عقبات !

ورفض الأخ الأكبر أن يتحرك من مصر ، ليعود مع
إخوه ، بدون أخيه (بنيامين) فقال لإخوه :
ـ لقد أخذ أبوانا علينا عهداً ، لا نفرط في بنيامين ،
كما فرطنا في يوسف من قبل .. عودوا أنتم إلى
ديارنا ، أما أنا فلن أتحرك من هنا ، حتى يأذن لي أبي
 بذلك ، أو يحكم الله في أمرى ، فيُظهر الحقيقة ،
ويعرف أبي أى لم أفرط في أخي أو أضيّعه ، فالله
وحده هو خير الحاكمين ..

فقال بقية الإخوة :

- وماذا سنفعل إذن؟

فقال الأخ الأكبر :

- ارجعوا إلى أبيكم ، وقصوا عليه ما حدث ..

لقد رأيتم كل شيء بأعينكم ، وسيغتمنوه بأذانكم ..



قولوا لا يكُنْ إِنَّ ابْنَهُ قَدْ سَرَقَ ، وَإِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ
بِالْحَقِيقَةِ . . فَقَالَ الْإِخْرَوْهُ :

- وَإِذَا لَمْ يُصَدِّقُنَا !

فَقَالَ الْأَخْرَوْهُ الْأَكْبَرُ :

- قَوْلَاهُ : إِنْكُمْ حِينَ أَخْذَتُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ عَهْدًا ، لَمْ تَكُونُوا
تَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ، لِتَعْرِفُوا أَنَّ ابْنَهُ سَوْفَ يَسْرُقُ . . وَإِذَا
لَمْ يُصَدِّقُ أَنَّ ابْنَهُ قَدْ سَرَقَ ، فَلِيُسْأَلْ الْقَافِلَةُ الَّتِي كَانَتْ
مَعَنَا فِي مِصْرَ . . أَوْ لِيُأْتِ إِلَيَّ مِصْرٌ وَسَأَلْ أَهْلَهَا بِنَفْسِهِ . .

وَهَكُذا تَحْرَكَتِ الْقَافِلَةُ عَائِدَةً إِلَى فَلَسْطِينَ ، وَفِيهَا
تِسْعَةُ فَقَطٍ مِنْ إِخْرَوْهُ يُوسُفُ . . أَمَّا بَنِيَامِينُ فَقَدْ احْتَجَرَهُ
يُوسُفُ لِيَبْقَى مَعَهُ ، وَأَمَّا الْأَخْرَوْهُ الْأَكْبَرُ فَقَدْ رَفَضَ الْعَوْدَةَ
مَعَهُمْ ، فِي انتِظَارِ إِذْنِ أَبِيهِ لَهُ ، أَوْ حُكْمِ اللَّهِ فِي أَمْرِهِ . .
وَوَصَّلَ إِخْرَوْهُ يُوسُفَ التِسْعَةَ إِلَى دِيَارِهِمْ ، فَدَخَلُوا
عَلَى أَبِيهِمْ . .

وَقَصَّرُوا عَلَيْهِ مَا حَدَثَ . . قَوْلَاهُ :

- يا أباانا ، إِنَّ ابْنَكَ قَدْ سَرَقَ ..

ولم يُصَدِّقُهُمْ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ فَقَالَ لَهُمْ :

- «لَقَدْ سَوَّلْتُ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» .

وَكَيْفَ يُصَدِّقُهُمْ ، وَقَدْ ضَيَّعُوا يَوْسُفَ مِنْ قَبْلِهِ
وَكَذَّبُوا عَلَيْهِ !؟

فَقَالَ الْإِخْرَوَةُ لِأَبِيهِمْ : إِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا لَهُ إِلَّا الْحَقِيقَةُ ،
كَمَا رَأَوْهَا بِأَعْيُنِهِمْ ، وَسَمَعُوهَا بِأَذْانِهِمْ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ
يُصَدِّقُهُمْ ، فَلَيَسْأَلِ الْقَافِلَةَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمْ ، وَأَهْلَ
الْبَلْدَةِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا ..

فَتَوَلَّ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ عَنْهُمْ وَرَاحَ يَبْكِي عَلَى يَوْسُفَ
وَأَخِيهِ ، حَتَّى فَقَدَ بَصَرَهُ ، أَوْ كَادَ يَفْقَدُهُ مِنْ شِدَّةِ
الْبَكَاءِ ..

فَقَالَ لَهُ الْإِخْرَوَةُ :

- ستظل تذكّر يوسف ، حتى يهزل جسمك ،

وتُضيّع قواك ، وتُصبح مشرقاً على الهاك ..

فرد عليهم يعقوب عليه السلام قائلاً : إنّه يشكو حزنه وهمه
إلى الله وحده : لأنّه يعلم من الله - تعالى - ما
لا يقدرون هم على علمه .. ثم يأمرهم بأنّ يعودوا إلى
مصر بحثاً عن يوسف ؛ لأنّه يشعر بأنّه لم يمت ..
ويطلب منهم لا يبتروا من روح الله ؛ لأنّ اليأس من
صفات الكافرين ..

وتتحرّك قافلة إخوة يوسف إلى مصر مرة أخرى ..
في هذه المرة نرى إخوة يوسف ، وقد ساء حالهم ،
وتذهبون .. إنّهم يحملون بضاعة ردية هذه المرة ،
ليشتّروا بها الطعام ، بعد أن أصابتهم الفقر والقحط ..

ودخلوا على يوسف ، وهم مازالوا لا يعلمون أنّه
يوسف ، برغم أنّ أباهم قد أوصاهم بالبحث عنه ..

فقالوا ليوسف :

- «يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الْفُرُّ ، وَجِئْنَا بِبَضَاعَةٍ
مُرْجَاهٌ ، فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللَّهَ
يَخْرُجُ الْمُتَصَدِّقِينَ» .



لقد أصْبَحْنَا فُقَرَاءَ ، وَقَدْ أَصَابَنَا الْفَرَّ ، وَأَصَابَ
أَهْلَنَا ، فَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا أَيَّهَا الْعَزِيزُ ، وَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلُ ، لَأَنَّ
اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُتَصَدِّقِينَ ..

وَيَدَا يُوسُفَ ﷺ حِوارَةٌ مَعْهُمْ ، فَسَأَلُوهُمْ أَوَّلًا :
— مَاذَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ؟

فَعَقَدَتِ الدَّهْشَةُ أَلْسَنَةَ الْإِخْرَاجِ ، وَأَخْدُوا يَنْظَرُونَ إِلَى
يُوسُفَ .. ثُمَّ قَالُوا :

— أَلَسْتَ أَنْتَ يُوسُفَ؟

فَأَجَابُوهُمْ يُوسُفُ ﷺ :

— نَعَمْ أَنَا يُوسُفُ ، وَهَذَا أَخِي .. لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
وَعَلَى أَخِي بِرَغْمِ كَيْدِكُمْ لَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الصَّابِرِينَ الْمُحْسِنِينَ ..

نَأْعْتَرَفُ إِخْرَاجُ يُوسُفَ لَهُ بِالْخَطَا الذِي ارْتَكَبُوهُ فِي
حَقِّهِ ، حِينَما كَانَ صَغِيرًا إِذَا الْقُوَّةُ فِي الْبَشَرِ ،

ولكنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - نُجَاهُ مِنْ كُبُدِهِمْ ،

وَجَعَلَهُ فِي هَذِهِ الْمَكَانَةِ الْمُرْتَفَعَةِ ..

وَيَدَا إِخْرَوَةِ يُوسُفَ يَرْتَجِفُونَ مِنَ الْخَوْفِ ، عِنْدَمَا
تَذَكَّرُوا أَنَّهُمْ يُخَاطِبُونَ عَزِيزَ مِصْرَ .. لَقَدْ حَارَ يُوسُفُ
عَزِيزَ مِصْرَ .. الْمُتَحَكِّمُ وَالْمُتَصْرِفُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ..
لَا بُدَّ أَنَّهُ سَيَتَقَمَّ مِنْهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ مَعَهُ ، وَمَعَ أَخِيهِ ..

وَأَحَسَّ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْخَوْفِ يَسْرِي فِي كِيَانِهِمْ ،
فَطَمَّا هُمْ بِقَوْلِهِ :

- لَا لُومَ عَلَيْكُمْ ، بِسَبِّ مَا ارْتَكَبْتُمُوهُ فِي حَقِّيْ مِنْ
جَرَائِمَ ، وَفِي حَقِّ أَخِي ..

وَأَخَذَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبِهِمْ
وَسَامِحْهُمْ ، فَهُوَ وَحْدَهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ..

وَيَخْلُعُ يُوسُفُ قَمِيصَهُ ، وَيَعْطِيهِ لِإِخْرَوَتِهِ قَائِلاً لَهُمْ :

- خُذُوا قَمِيصِي هَذَا ، وَغُرُودُوا بِهِ إِلَى هُنَاكَ ،

فَالْقُوَّةُ عَلَى وِجْهِ أَبِي ، فَيَعْوُدُ إِلَيْهِ بَصَرًا
مَرَّةً أُخْرَى .. وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يُخْضِرُوا أَهْلَهُمْ جَمِيعًا ..
وَمَرَّةً أُخْرَى يَتَحْرُكُ رَكْبُ الْإِخْرَوَةِ عَانِدًا مِنْ مِصْرَ إِلَى
فَلَسْطِينَ ، وَلِكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ الْقَافِلَةُ تَخْيِلُ شَيْئًا
غَالِبًا ، إِنَّهُ قَمِيصُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِيهِ رِيحُ يُوسُفَ
وَرَائِحَتُهُ ..

وَيَحْسُنُ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِرِيحِ يُوسُفَ ، وَيَشْتَمُ رَائِحَتَهُ
عَلَى الْبُعْدِ .. فَيَقُولُ لِمَنْ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ ، إِنَّهُ يَحْسُنُ
رِيحَ يُوسُفَ ، لَكِنْ أَحَدًا لَا يُصَدِّقُهُ ، يَتَعَجَّبُ
الْحَاضِرُونَ .. يَظْنُونَ أَنَّ يَعْقُوبَ مِنْ كَثْرَةِ تَذَكُّرِهِ لَا يَبْلُغُهُ
يُوسُفَ ، فَدَبَّدَ يَحْسُنُ أَشْياءً غَرِيبَةً ، وَيَتَخَيَّلُ أَشْياءً
غَيْرَ حَقِيقَةٍ .. كَيْفَ يَقُولُ إِنَّهُ يَحْسُنُ بِرِيحِ يُوسُفَ ،
وَيُوسُفُ قَدْ ماتَ مُنْذُ زَمِنٍ بَعِيدٍ ١٩

لَا يَبْدُ أَنَّ يَعْقُوبَ مازالَ فِي ضَلَالِهِ الْقَدِيمِ ..
وَلِكِنْ الْقَافِلَةُ تَصْلِي إِلَى دِيَارِ يَعْقُوبَ .. وَأَحَدٌ

أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ يَحْمِلُ قَمِيصَ أَخِيهِ يُوسُفَ .
وَيَهْرَعُ يَعْقُوبُ لَا يَتَقْبَالُهُمْ ، فَيَلْقَى الْأَبْنَاءِ
بِالْقَمِيصِ عَلَى وَجْهِهِ . . .



وَيَعُودُ لِيَعْقُوبَ بَصَرَهُ الَّذِي فَقَدَهُ فِي الْحَالِ ،

فَيَقُسِّمُ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ لِمَنْ حَوَلَهُ :

- أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَرْزَلْ حَيَا ؟ ! هَلْ صَدَقْتُمْ

الآن ؟ ! أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ؟ !

وَيَعْتَرِفُ الْإِخْرَوُ بِخَطَبِهِمْ ، طَالِبِينَ مِنْ أَبِيهِمْ أَنْ

يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ دُنْوِيهِمْ ..

وَيَعْدُهُمْ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَسْتَغْفِرُ لَهُمُ اللَّهُ ،

فَهُوَ وَحْدَهُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ..

وَيُسَافِرُ يَعْقُوبُ وَزَوْجَاهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَزَوْجَاتِهِمْ جَمِيعًا إِلَى مِصْرَ ..

وَهُنَاكَ يَدْخُلُونَ عَلَى يُوسُفَ ، فَيَسْتَقْبِلُهُمْ مُرْحَبًا بِأَبِيهِ ،

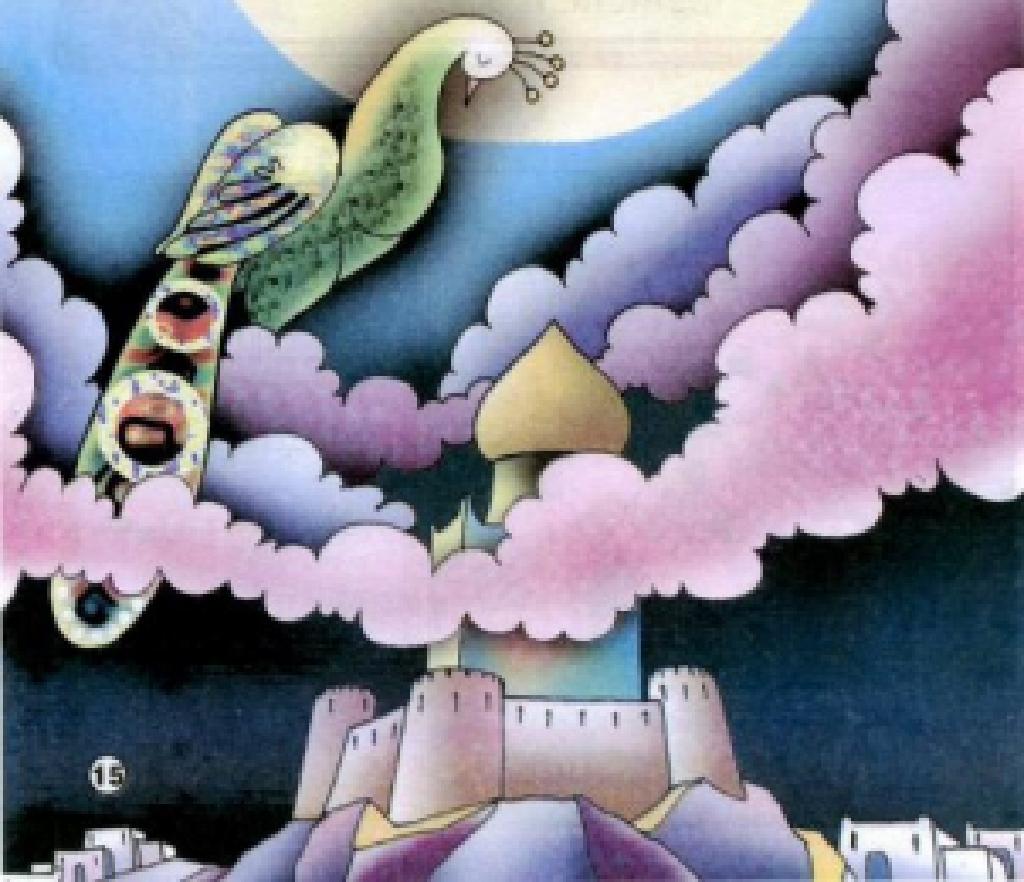
وَيَجْلِسُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ عَلَى سَرِيرِهِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ،

حِينَ يُدَبِّرُ شُؤُونَ الدُّوَلَةِ ..

وَهُنَا يَمْلِيُ الْجَمِيعُ بِرُءُ وَسِيمَ تَحْبَهُ لِيُوسُفَ ،

فَيَتَذَكَّرُ يُوسُفُ الرَّؤْيا الَّتِي رَأَاهَا ، وَهُوَ طِفَلٌ ،

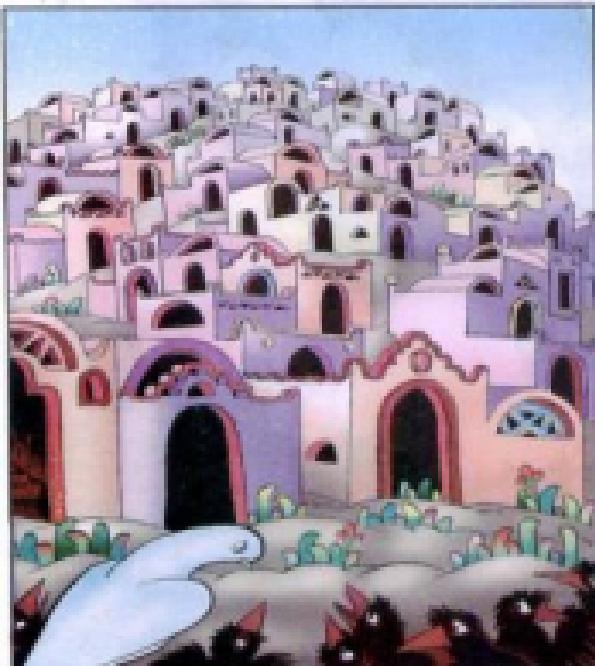
حيث رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر
ساجدين له ، فيقول لأبيه : إن هذا تفسير رؤيَاة ، وقد
تحقق ما جاء بها ثم يتحدث يوسف عليه السلام عن نعم
الله - تعالى - عليه ، حيث أخرجه من السجن



وَبِرَأَهُ مِنْ تَهْمَةٍ ظَالِمَةٍ ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ، وَمَنْ عَلَيْهِ بِجَمْعِ
شَمْلِ أَسْرَتِهِ أَخْيَرًا ، بَعْدَ أَنْ تَسْبُ الشَّيْطَانُ فِي
التَّفْرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ كُلُّ هَذِهِ السَّنَوَاتِ . . .

(تَمَّتْ)

رَمَ الْإِبْدَاعِ : ٢١٦٦
التَّعْلِيمُ الدُّرَسِ : ٢ - ٣٨٩ - ٣٣٦ - ٣٧٧



فِصْصُ الْأَنْبِيَاءَ
الْكِتَابُ الْقَالِيُّ
شَعِيبٌ . عَلَيْهِ السَّلَامُ .

أَخْرَحُ عَلَى اقْتِنَانِهِ